BITARA
Volume 4, Issue 4, 2021: 15-40
© The Author(s) 2021
e-ISSN: 2600-9080
http://www.bitarajournal.com

مخطوط "الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي" للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي: دراسةً وتحقيقًا

[The Manuscript '*al-Kanz al-Jalil ʿala Madarik al-Tanzil wa Haqa'iq al-Ta'wil li Abi al-Barakat al-Nasafi*' Authored by Ibrahim Ibn Ibrahim al-Janaji: Study and Investigation]

Md. Masum Billah, Muhammad Ali al-Gamidi, Somayah Azad[1] & Adel M Abdulaziz Al Geriani[2*]

الملخص

يتناول هذا البحث تحقيقَ تفسير سورة الحديد من الآية (1) إلى الآية (11) من مخطوطةِ "الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي" للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي الشهير ببُصيلة، أحدِ كبار علماء الأزهر الشريف. وهو مفسر، وفقيه، ومنطقي، ونحوي. كَشَفَ بها المؤلفُ السِتارَ عمَّا غمض من كلام النسفي في تفسيره، وأضاف إليه تعريفَ السور، وأوجهَ المناسبات بين السور أو الآيات، ومعاني الآيات من كتب التفسير المعتبرة، وما يتعلق بالآيات من مسائل فقهية وعقدية، وأوجهَ القراءاتِ المتواترةِ والشاذةِ الواردةِ للآيات. واعتمدت الدراسة على المناهج الآتية: وضع كتابة تفسير النسفي في الصندوق ثم يتلوه شرح الإمام إبراهيم بصيلة، وعملية التحقيق في الحاشية؛ والاعتماد على النسخة الوحيدة الموجودة لدينا وتعزيز وحدتها بمقابلتها مع موارد المخطوط ومصادر المؤلف التي نقل عنها مع إثبات الفروق وإكمال النقص في الحاشية؛ ونسخ المخطوط وفق قواعد الرسم الإملائي الحديث مع ضبط التشكيل؛ وعزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها مع كتابتها برسم مصحف المدينة النبوية؛ وتوثيق الأقوال وكلام أهل العلم قدر الطاقة من مصادرها الأصلية فإن لم نجد فالفرعية؛ وبيان التعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة والأماكن والبلدان الواردة في المخطوط؛ والتعليق على ما يحتاج إلى ذلك من المسائل الواردة في المخطوط. وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: إبراهيم بصيلة يُعد من كبار علماء الأزهر الشريف، وهو ممن سخروا جُلَّ أوقاتهم في سبيل العلم وخدمة أهله؛ وتُعَدُّ حاشية الكنز الجليل من أحسن الشروح لتفسير الإمام النسفي؛ ومن خلال التتبع لحاشية الكنز الجليل يظهر بعض المناهج القيمة التي سار

[1] Department of Shariah and Islamic Studies, Faculty of Arts and Humanities, King Abdul Aziz University, Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia
[2] Institut Penyelidikan Produk & Ketamadunan Melayu Islam, Universiti Sultan Zainal Abidin, Kampus Gong Badak, 21300 Kuala Nerus, Terengganu, MALAYSIA

Coressponding Author:
ADEL M ABDULAZIZ AL GERIANI, Institut Penyelidikan Produk & Ketamadunan Melayu Islam, Universiti Sultan Zainal Abidin, Kampus Gong Badak, 21300 Kuala Nerus, Terengganu, MALAYSIA
Email: adelmaziz@unisza.edu.my

عليها المؤلف؛ وأوائل الآيات من سورة الحديد تتكلم عن التعريف بالله، والأمر بالإيمان والإنفاق، والنقاش في المانع منهما، وكذلك الحث على الإنفاق بذكر ثواب المؤمنين المنفقين يوم الدين.

الكلمات المفتاحية:
الكنز الجليل، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، إبراهيم الجناجي.

Abstract
This study investigates the interpretation of Surah al-Hadid from the beginning to the verse number-11 from the manuscript "al-Kanz al-Jalīl ʿalā Madārik al-Tanzīl wa Ḥaqā'iq al-Ta'wīl li Abī al-Barakāt al-Nasafī" authored by Ibrahim ibn Ibrahim al-Janaji known by Busailah, who is one of the great scholars of al-Azhar al-Sharif. He is an interpreter, jurist, philosopher, and linguist. The author exposed the cover from the unclear concepts of al-Nasafi in his interpretation and added definitions of the surahs, the relations between the surahs or verses, the meanings of the verses from the reliable books of interpretation, the verses related to juristic and creedal issues related to the verses, and the types of common and unusual readings of the verses. The methods used in this study are: keeping the Tafsīr al-Nasafi in the boxes, then followed by the explanation of Imam Ibrahim Buṣaylah, and the process of investigation in the footnotes; trusting on the lone copy of manuscript and strengthening its loneliness by matching it with its sources and the author's sources from which it was quoted, including the proof of differences and completing the shortage in his explanation; copying the manuscript according to the modern orthographic writing system with controlling the formation; attributing the Qur'ānic verses to their Sūrahs including their numbers with writing them following the font of "Musḥaf al-Madīnah al-Nabawiyyah"; authenticating the sayings and various opinion of the scholars from their original sources if possible, otherwise from the secondary sources; and remarking on the issues contained in the manuscript while it is needed. The most important findings of this study are: Ibrāhīm Buṣaylah is counted as a big scholar of al-Azhar al-Sharīf and he is from those who spent their lifetime efforts to distribute knowledge towards people who wants to learn; his book "al-Kanz al-Jalīl ʿalā al-Madārīk al-Tanzīl" is calculated as a most significant explanation book of 'Tafsīr al-Nasafi'; the author of "al-Kanz al-Jalīl" has followed uncommon methods to write this book; and the first eleven verses of Sūrat al-Ḥadīd has briefed about introduce of Allah, importance of ʾīmān and spending treasury in the way of Allah as well as encouraged human to spend assets for Allah by describing its rewards in hereafter.

Keywords:
al-Kanz al-Jalil, Madarik al-Tanzil wa Haqaiq al-Tawil, Abul Barakat al-Nasafi, Ibrahim al-Janaji.

Cite This Article:
Md. Masum Billah, Muhammad Ali al-Gamidi, Somayah Azad & Adel M Abdulaziz Al Geriani. 2021. Makhtut 'al-Kanz al-Jalil ʿala Madarik al-Tanzil wa Haqa'iq al-Ta'wil li Abi al-Barakat al-Nasafi' li 'Allamah Ibrahim Ibn Ibrahim al-Janaji: Dirasah wa tahqiqan. *BITARA International Journal of Civilizational Studies and Human Sciences* 4(4): 15-40.

المقدمة

فإنَّ تَعَلُّمَ كتابِ الله وتعليمَه والبحثَ فيه، من أجل العلوم التي يجب على المسلم التعمق فيها، والبحث عن ما فيه من معارف وعلوم جليلة، ومن أجل القربات، وأنفع الطاعات، في الحياة وبعد الممات، ومن سلكه وأخذ بطريقه

فقد نال الحظ الوفير. وعلم التفسير من أعظم ما صنف فيه لفهم القران الكريم، ومن أجَلِّ العلوم الشرعية وأرفَعِهَا قدرا، وأقْرَبِها إلى النفوس؛ لتعلقها بفهم كتاب الله، فبه يحصل التدبر والفهم السليم لمعاني القران العظيم، وأرفعها قدراً، إذ شرف العلم بشرف موضوعه، وموضوعه كلام الله الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، ولا يستطيع المسلمُ أنْ يَفهَمَ القرآنَ الكريمَ، وَيستخرج أحكامَه وحِكمَه وَمقاصدَه وأسرارَه وكنوزَه إلا من خلال علم التفسير، ولهذا فهو يأتي في مقدمة العلوم التي يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه، وقد اعتنى علماء الأمّة الإسلاميّة على مرّ العصور بعلم التفسير، بل وحَرَصوا على التصنيف في كل نوع من أنواعه، والتبحّر في كل فنّ من فنونه، وبذلوا الجُهدَ الكبيرَ لمعرفةِ مرادِ اللهِ تعالى في آيات وسور القرآن الكريم.

ومما لجأ إليه العلماء في العصور المتأخرة لخدمة علم التفسير، تحقيق المخطوطات، فهو الإرث الذي لا ينقطع، رغبة في خدمة كتاب الله –عز وجل– ونيل شرفه العظيم، والخوض في تجربة التحقيق العلمي الموثق، القائم على أصول التحقيق السليم، واكتساب مهارات جديدة، وعلوم جديدة، إحياء للتراث الإسلامي.

ولذا عزمنا – مستعينين بالله تعالى – على المشاركة في تحقيق جزء من مخطوط (الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي) للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببُصيلة المتوفى سنة 1352 هـ، ونسأل الله تعالى العون والتوفيق والسداد.

أهمية الموضوع

1. إن تفسير النسفي مختَصرًا من تفسير البيضاوي، ومن تفسير الزمخشري، غير أنه ترك ما في الكشاف من الاعتزالات، وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه الحاشية على تفسير النسفي، فالاهتمام بها اهتمام بعدة تفاسير تعد من أمهات علم التفسير، فقد احتوت على كنوز ثمينة، غزيرة النفع، جمة الفوائد، وفي ذلك من تمام الفائدة ما هو حريّ للعمل في خدمة هذا المخطوط.
2. تكمن أهمية الموضوع في قيمة تفسير النسفي العلمية، وقيمة هذه الحاشية العلمية والتي تتمثل في:

أ. جمع المؤلف تفاسير المفسرين وأقوالهم من الكتب المعتبرة.
ب. تفسير بعض الآيات القرآنية التي لم يوفيها النسفي –رحمه الله– حقها من التفسير، وكشف الستار عما في تفسيره من مبهمات وغوامض.
ج. أمانة صاحب المخطوط، وتوثيقه لما نقله في حاشيته على المدارك، والإضافات الغزيرة التي ضمّنها للحاشية، وبعضها من مخطوطات لم تحقق بعد.

أسباب اختيار الموضوع

1. الرغبة في خدمة كتاب الله الجليل، لنيل شرفه العظيم.
2. خوض غمار التحقيق العلمي، واكتساب مهارات جديدة من خلال التعرف على المخطوطات، وكيفية التحقيق.
3. أحببت المشاركة في إحياء التراث الإسلامي، وجعله في متناول أيدي طلبة العلم؛ ليتسنى الاطلاع عليه والكشف عن كنوزه الدفينة.
4. مكانة تفسير النسفي العلمية وشهرته بين طلاب العلم، لاشتماله على كثير من العلوم، مما يستدعي ضرورة دراسته ومناقشة بعض أرائه وبيان مذهب السلف فيها.
5. قيمة الحاشية العلمية التي سبق ذكرها.
6. إنّ الاشتغال بتحقيق هذا الكتاب من قبل طلبة العلم، يدعو إلى الرجوع إلى جلّ كتب التفسير، وما يتعلق به من مسائل في علوم القرآن، وعلوم الحديث، والعقيدة، والفقه، وعلوم اللغة، والبلاغة، وغيرها مما يرفع الحصيلة العلمية لدى الطالب، ويضيف له الكثير من المهارات العلمية والبحثية.
7. مكانة الإمام النسفي رحمه الله العلمية، إذ أنه من العلماء المتقدمين الذين كان لهم دورًا بارزا في إثراء المكتبة الإسلامية بالعلم النافع، فقد كان إماماً في الفقه والأصول والحديث والتفسير، وله الكثير من المصنفات التي تداولها العلماء وتناولوها دراسة وبحثاً.
8. مكانة المؤلف العلمية، وعرف بنتاجه العلمي في علوم متنوعة منها: في الفقه والنحو.
9. حوى المخطوط على ثروة نفيسة تمثلت في أقوال العلماء المنقولة من كتب مخطوطة أو مفقودة.
10. أن هذا المخطوط لم يحقق من قبل، ولم يطبع حسب علمنا.

الدراسات السابقة

من خلال البحث لم نجد حتى الآن – حسب علمنا- عملاً علمياً كُتب على تفسير النسفي " **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** " سوى كتاب " **الإكليل تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل** "، تأليف: محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي (ت1333هـ)، تحقيق: محي الدين أسامة البيرقدار طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى عام: 1433هـ، في سبعة أجزاء، وهو شرح مفصل لمدارك التنزيل.

منهج البحث

1. وضع كتابة تفسير النسفي في الصندوق ثم يتلوه شرح الإمام إبراهيم بصيلة –رحمه الله–.
2. الاعتماد على النسخة الوحيدة الموجودة لدينا وتعزيز وحدتها بمقابلتها مع موارد المخطوط ومصادر المؤلف التي نقل عنها مع إثبات الفروق وإكمال النقص في الهامش.
3. نسخ المخطوط وفق قواعد الرسم الإملائي الحديث مع ضبط المشكل من النص المحقق.
4. عزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها مع كتابتها برسم مصحف المدينة النبوية.
5. تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها فإن وجد الحديث في الصحيحين فيكتفى بالعزو إليهما وإلا خرج من كتب السنة المعتمدة مع ذكر حكم العلماء عليها.
6. توثيق الأقوال والنقولات وكلام أهل العلم قدر الطاقة من مصادرها الأصلية فإن لم أجد فالفرعية.
7. الاعتناء بالمسائل العقدية التي يوردها الإمام النسفي رحمه الله والتنبه لها وذلك بالرجوع إلى التفاسير التي اعتنت بالعقيدة السلفية وإبراز منهج أهل السنة والجماعة في ذلك.
8. الاهتمام بالمسائل الفقهية الموافقة للدليل دون تعصب لمذهب معين، فالعلامة النسفي حنفي المذهب ويكاد يقتصر في تفسيره على ذكر مذهبه دون التعويل على غيره من الأقوال في كثير من المواضع.
9. الترجمة لجميع الأعلام عند ذكرهم لأول مرة، عدا المشهورين منهم: كالعشرة المبشرين بالجنة، وأصحاب الصحيحين، معتمداً في الترجمة على ثلاثة مصادر.
10. التعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة مع ضبطها بالشكل.
11. التعريف بالأماكن والبلدان الوارد ذكرها في الكتاب مع بيان موقعها الجغرافي في العصر الحاضر بقدر الإمكان.
12. التعليق على ما يحتاج إلى ذلك من المسائل الواردة في المخطوط.
13. ذكر اسم المؤلف ولقبه واسم الكتاب وبيانات النشر كاملة عند ذكر المرجع أو المصدر لأول مرة وإن تكرر يكتفى بذكر لقبه مع الإشارة للكتاب بلفظ مرجع سابق، وذلك وفق دليل الرسائل العلمية المتبع في الجامعة.

التعريف بإبراهيم بصيلة –رحمه الله–

كان الشيخ إبراهيم بصيلة –رحمه الله– من كبار علماء الأزهر الشريف، وهو مفسر، وفقيه، ومنطيقي، ونحوي. لم أجد ترجمَته إلا بالاخْتِصَارِ الشَّدِيدِ في بعضِ كُتُبِ التَّاريخ المعاصرة، من الأعلام للزركلي، ومعجم المفسرين لعادل نويهض وغيرهما. ولكني وجدتُ ترجمةَ حياتِه تفصيلًا في مخطوطه "الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل" الذي معنا في الدراسة، وهو يُعِيْنُني بكثيرٍ في كتابة ترجمته. والله المستعان. وفيه مطلبان:

اسمه ونسبه ومولده ونشأته وشؤون حياته

اسمه ونسبه :هو إبراهيم بن إبراهيم بن محمد بن حسن الجناجي، الملقب بِبُصَيْلَةَ، مفسر مصري، فقيهي مالكي، منطقي، نحوي، من أهل قرية جناج بمركز كفر الزيات بمديرية الغربية بمصر. (al-Zarkalī, 2002: 1/28, al-Zubayrī, 2003: 1/7, Ibrāhīm al-Janājī: lawḥa: 776)

مولده ونشأته: وُلِد الشيخ بصيلة –رحمه الله– بناحية جناج بمركز كفر الزيات بمديرية الغربية سنةَ ألف ومائتين وسبعين هجرية، ومات والده في سنة ولادته المذكورة، فكفله أعمامه ونشأ في حجرهم، واعتنوا بتربيته، فحفظ القرآن الكريم كاملا برعاية معلمه الشيخ عبد الرحمن البريري وهو الثانية عشر من عمره، وأخذ يشغل بزراعة ما ورثه عن والده من الأطيان وما يمتلكه أعمامه منها إلى نهاية عام ألف ومائتين وثمانية وثمانين هجرية. فارتأى أعمامه إلى أن يذهبوا به إلى الأزهر الشريف لِمَا آنسوه فيه من الذكاء والاستعداد لارتشاف مناهل العلم، فدخل الأزهرَ واختارَ فقهَ الإمام مالك –رحمه الله– (Ibrāhīm al-Janājī: lawḥa: 780-781).

شؤون حياته:

(1) مركزه في أسرته: مَضَى عَلى المؤلفِ فَترةٌ من الزمنِ في طلبِ العلمِ مُنْصَرِفًا إليه، حتى رأى فيه أعمامُه قُدرةً على القيام بشؤون الأسرة، فوكَّلُوا إليه أعمالَها، فقام بها خيرَ قيامٍ حتى مَات رئيسُهَا عَمُّهُ عبدُ الواحد بصيلة، فصار المؤلفُ عميدَها وأخذ يَكُدُّ وَيَجْتَهِدُ فِي إعلاء شأنها وإحلالِها في المستوى اللائق بها، وجعل نصب عينيه إنماء ثروتها، فانتقل بها من أربعة وعشرين فَدَّانًا إلى ستين بهمة، وهو الذي ورث عن والده أربعة فدادين فقط صار يمتلك الآن خمسة وسبعين فدانا (Ibrāhīm al-Janājī: lawḥa: 782).

(2) حياته الداخلية: كان المؤلف –رحمه الله– يحب أن ينام مبكرا ويستيقظ كذلك مبكرا، ولا يميل إلى الاجتماع بالناس إلا على قدر ما تقضي به الضرورة والمصلحة، فإذا استيقظ في الصباح، أدى صلاة الفجر، ثم اضطجع على سريره فأخذته سِنَةٌ من النوم حتى تشرق الشمس، فيتناول طعام الإفطار، ثم يستريح بعد ذلك قليلا ويخرج

جاعلا وجهته الأزهر الشـريف، فيقرأ درسـا مقررا عليه في فقه الأمام مالك بمسـجد الحسـين، ويراقب هيئةَ كبارِ العلماء حسبما تقضي عليه وظيفتُه الـمُوَكَّلَةُ إليه وهي مراقبة الهيئة، وبعد الفراغ من الدرس يذهب إلى إدارة الأزهر إن كانت أعمال مصلحية، ثم يذهب إلى داره فيتناول طعام الغداء ويقيل لوقت بسيط، ثم يستيقظ فيصلي ويبقى أو يخرج قليلا، حتى إذا حان وقت العشـاء تناول عَشَـاءً خَفِيْفًا جِدًّا ثم يصـلى وينام وهكذا دَوَالَيْك. وهذا النظام الذي يتبعه في حياته كلها جعله خلوا من الأمراض، لم يره طبيب، ولم يتجرع دواء حتى بلغ الستين من عمره، وبعد ذلك أثَّرَ فيه كَبِرُ السِّنِ قليلًا فأخذ الأطباءَ يتحكمون في أكله وفي معيشته (Ibrāhīm al-Janājī: lawḥa: 783-784).

(3) حاله مع أولاده: ولم يُرزق المؤلف –رحمه الله– بذكور كثيرين بل بقى له ولدان اثنان، أحدهما أحمد، والثاني عبد المجيد، وله من البنات سـت، وكان يحب أولاده حبًّا شـديدا ويعطف عليهم، يبلين معهم في غير ضـعف، ويشـتد عليهم من غير عنف، رباهم تربية دعامتها الدين، فزوَّج أولاده حينما أدركوا الحلم مباشـرة، ووجههم إلى التعليم الديني، وحبب إليهم الفضيلة، وغرس فيهم مكارم الأخلاق، وعوَّدهم التمسك بدينهم فيؤدون الصلاة بلا انقطاع، لا خوفًا منه، لكن حبا في الدين الذي تُرَبُّوْا على مَبَادِئِه، وبلغ من شـدة حبه لأولاده وإشـفاقه عليهم أنه لا يغْفُوا ما دام أحد من أولاده خارج المنزل، وإذا اضـطر أحدهم إلى أن يتأخر قليلا في الخارج لا بد أن يعلمه بالمكان الذي هو فيه حتى ينام مطمئنا (Ibrāhīm al-Janājī: lawḥa: 784).

حياته العلمية وآثاره

لما ارتأى أعمام المؤلف –رحمه الله– الذين اعتنوا بتربيته فطنته وسرعة بديهته، وآنسوا ما فيه من الذكاء والاستعداد لارتشـاف مناهل العلم، ذهبوا به إلى الأزهر الشـريف، فدخل وطلب العلم، واشـتغل بمذهب الإمام مالك، وباقي العلوم من نحو وصرف وبلاغة وأصول حتى سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة هجرية، ثم شرع لأداء الامتحان سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة هجرية تحت رئاسة الشيخ محمد المهدي العباسي شيخ الجامة الأزهر ومفتي الديار المصرية وقت ذلك، وعلى يد لجنة مشكلة من ستة أعضاء، وهم: فضيلة الشيخ عبد الرحمن الشربيني، وفضيلة الشيخ أحمد شرف الدين المرصفي الشافعيين، وفضيلة الشيخ أحمد الجيزاوي، وفضيلة الشيخ محمد البسيوني، وفضيلة الشيخ حسونة النواوي، وحصل في النهاية على الشهادة العالمية ونال الدرجة الأولى بتفوق، وكسوة التشريفة من الدرجة الثالثة، ورخصة بنصف أجرة على جميع خطوط السكك الحديدية المصرية، وعقب ذلك شرع في التدريس وترقى في مراتب وظيفته، وتعلَّم أيضًا الحساب على يد الأستاذ علي حسن بك، هو وخمسة عشر من زملائه، وكان منهم صديقه الشيخ علي سالم الخولي الخباطي والد العالِـمَيْنِ الجَلِيْلَيْنِ الشيخ محمد علي الخولي، والشيخ علي بن علي الخولي ناسـخ حاشـية (الكنز الجليل)، وبعد هذا اسـتحق ومن ومعه تدريس علم الحسـاب في الأزهر بدلا من

المعلمين الذين كانوا من الخارج، ومن ثم تدرج في زيادة المراتب حتى ترقى إلى الدرجة المسماة بـــ هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف (Ibrāhīm al-Janājī: lawḥa: 780-782).

مؤلفاته

للمؤلف رسائل صغيرة كان يكتبها بمناسبة تدريسه للعلوم التي ألَّفها فيها كالتوحيد والمنطق، ومن أهم مؤلفاته:

1. "ضـــوء الظلام الحالك في فقه الإمام مالك" ألَّفه في أجزاء في فقه الإمام مالك على نمط لم يســـبقه فيه غيره، فذكر الحكم وحكمة تشريعه من الكتاب والسنة والعقل.
2. "المطالب السنية في عقائد التوحيد المرضية" رسالة في التوحيد، وقدرها خمسة كراريس، وهو مخطوط.
3. "تقريرات على حاشية الصبان في المنطق" وهو مخطوط.
4. "رسالة في مبادئ النحو" وهو مخطوط.
5. تقرير على حاشـية للصـاوي، سماه "تقريرات سـنية على حاشـية الصـاوي في مذهب الإمام مالك" وهو مخطوط.
6. "الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل" في ست مجلدات، وكل هذه المخطوطات في المكتبة الأزهرية بمصر. وهو آخر مؤلفاته. (al-Zarkalī, 2002: 1/28, al-Zubayrī, 2003: 1/7, Ibrāhīm al-Janājī: lawḥa: 785-786)

وفاته: توفي -رحمه الله- في مصر سنة 1352هـ (al-Zarkalī, 2002: 1/28, al-Zubayrī, 2003: 1/7).

التعريف بحاشية (الكنز الجليل على مدارك التنزيل)

أهمية الكتاب وتوثيق نسبته لمؤلفه

أهمية الكتاب: "الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل" من أكبر المؤلفات لعلامة إبراهيم بصـيلة -رحمه الله-؛ وذلك لما يشـتمل عليه هذا الكتابُ من فوائدَ، وتعليقاتٍ متميزة، واسـتنباطاتٍ رائعة، وشـروحاتٍ، جعلت منه ذا قِيْمَةٍ عِلْمِيَّةٍ، وَقَد اتضـح ذلك من خِلَالِ دِقَّةِ اختياره لأحسـن ما قيل في معاني الآيات من كتب التفاسـير المعتَبرة، وكشـفِ السـتارِ عمَّا غمض من كلام النسـفي -رحمه الله- في تفسـيره، والعنايةِ بالبَدْءِ في كل سـورةٍ ببيان نوعِها وعَددِ آياتها، وبيانِ أوجه المناسـبات بين السـور، وذكرِ أسـباب النزول للآيات عند وجوده، وإظهارِ معاني

الغريبِ مِن الألفاظ، وبيانِ أقوالِ المفسرين في معنى الآية، وذكرِ كل ما يتعلق بالآية مِنْ مَسَائِلِ فِقْهِيَّةٍ وَعَقْدِيَّةٍ، وَالْقِرَاءَاتِ المتواترةِ أو الشاذةِ الوَارِدَةِ فِيْ كُلِّ آيةٍ، وتوضيحِ الأوجهِ الإعرابيةِ، وغيرها (Ibrāhīm al-Janājī: lawḥa: 780-786).

توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه: وقد ثبتت صحة نسبة كتاب "الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي" للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة -رحمه الله- من خلال ما يلي:

أ. ما ذكره المؤلف -رحمه الله- في مقدمة شرحه: "يقول -الفقير إلى الله تعالى- إبراهيم بن إبراهيم بصيلة الجناجي: قد شرعتُ في قراءة كتاب النسفي في التفسير على طلبتي بالأزهر الشريف سنة 1331-1332 هجرية/1913-1914 ميلادية؛ فالتقيتُه رموزا، وطلمسات، وقراءات، ومعتمات، روح التفسير الحقيقية منعدمة منه أو تكاد، والمُطَّلع عليه لا يمكنه أن ينال منه طَلَبَتُه ويَعْثُرُ على ضالته، وعلى الجملة فتفسير لا ينفع العُلة، ولا يروي الصادي، لذلك استعنت بالله العلي الأعلى، وجمعت حاشية من أمهات التفاسير المعول عليها، والتي يرجع إليها، كشفتُ بها عن ذلك النقاب المستتر به ذلك الكتاب؛ فأبنتُ فيها أغراض المؤلف ومراميه وأبحاثه وما تعرض له، ومع ذلك فلم أضن على القرطاس بتفسير بعض الآيات القرآنية التي تعرَّض لتفسيرها المؤلف -رحمه الله- ولم يوف المقام حقه، مسندا كل ما جمعته إلى ما نقلت عنه من الكتب -تحاشيا من الوقوع فيما يقع فيه لبعض المؤلفين ما يتوهم إلى أنفسهم- وليرجع المُطَّلِع عَلى هذِهِ الحاشيةِ إلى مَا نقلتُ منه إن أراد الرجوع، أو شاء الزيادةَ بهذه الحاشية الصغيرة على هذه الطريقة المتقدمة القويمة لبَّس كتاب النسفي -في ذلك الجزء الذي وضح فيه- ثوبًا قشيبًا من التفسير الحقيقي يختال فيه عجبًا، وصار في مكنة المطَّلِع عليه أن يرتشف من ذلك النهل العذب ما شاء أن يرتشف، ويستفيد منه ما لم يكن يستفيده إلا بعد الرجوع إلى تلك الكتب المطوَّلة وتقليب صفحاتها -ولا تسل عما يلزم ذلك من عناء-، وسميتُها بـ "الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل" (Ibrāhīm al-Janājī: lawḥa: 780-786).

ب. يظهر لنا من خلال التتبع أن المؤلف -رحمه الله- صرَّح في عدد من صفحات وأجزاء المخطوط باسمه واسم مؤلفه، بقوله: (ك (رقم)، جزء: (رقم)، حاشية الكنز الجليل على تفسير النسفي، تأليف الفقير إبراهيم بصيلة من هيئة كبار العلماء بالأزهر)، وصورته كالختم.

ج. اقتران اسم هذا الكتاب باسم مؤلفه في كتب التراجم؛ ككتاب الأعلام للزركلي (28/1)، وكتاب نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر ليوسف المرعشلي (53/1)، وكتاب الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة لوليد الزبيري وغيره (7/1).

د. ما نصَّتْ عليه كُتُبُ الفَهَارِسِ مِن نِسبةِ هَذا الكتابِ إلى المؤلفِ؛ ككتاب معجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور علي شواخ إسحاق (135/3)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (8/1)، والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن (مخطوطات التفسير وعلومه)، (828/1).

منهج المؤلف ومصادره في الكتاب

ومن خلال التتبع لصنيع المؤلف في التأليف في هذا الكتاب، يظهر أنه سار في ذلك بمنهج مطرد واضح، ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: توضيح نوع السورة، هل هي مكية أم مدنية؟ ومن ذلك قوله –رحمه الله– في سورة الحديد: "مكية أو مدنية"، وقوله في سورة الحشر: "مدنية"، وقوله في سورة الممتحنة: "مدنية".

ثانياً: بيان عدد آيات السور، وعدد كلماتها، وعدد حروفها. كما قال –رحمه الله– في سورة الحديد: "وهي تسع وعشرون آية، وخمس مائة وأربع وأربعون كلمةً، وألفان وأربع مائة وستة وسبعون حرفًا" وضَّح المؤلف –رحمه الله– كذا في كل السور.

ثالثاً: بيان المناسبات بين السور أو الآيات. كما قال المؤلف –رحمه الله– في سورة الحديد: "ومناسبةُ أوَّلِ هذه السورةِ لآخِرِ مَا قبلَها وَاضِحةٌ؛ لأنه تعَالى أَمَرَ بالتسبيحِ، ثُمَّ أخبر: أنَّ التسبيحَ المأمورُ به قد فَعَله والتَزَمَه كُلُّ مَنْ في السَّماواتِ والأرضِ". وقوله في سورة المجادلة: "وَوَجْهُ مُنَاسَبتِهَا لِمَا قَبْلَهَا: أنَّ الأُوْلَى خُتِمَتْ بفضلِ اللهِ تَعالى، وَفُتِحَتْ هَذِه بِمَا هُوَ مِنْ ذَلك. وقال بعضُ الأجِلَّةِ فِي ذَلك: لَمَّا كَان في مَطْلَعِ الأُوْلى ذكرُ صفاتِه تعالى الجَليلة، ومنها: الظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ. وقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (Sūrat al-Ḥadīd, V:4)، اِفْتَتَحَ هَذه بذِكْرِ أنَّهُ تَعَالى سَمِعَ قولَ المُجادِلةِ الَّتِي شَكَتْ إِلَيْهِ.

رابعاً: بيان أسباب النزول عند وجودها، كما قال المؤلف –رحمه الله– في سورة المجادلة: "قَالتْ عائشةُ –رضي الله عنه– فِيمَا رَوَاهُ النَّسَائِيْ، وابنُ مَاجة، وَالبخاريُّ تَعْلِيْقًا حِيْنَ نَزَلَتْ: (الْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ [92/ب] إِلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِيْ نَاحِيَةِ البَيْتِ، [وَأَسْمَعُ] مَا تَقُوْلُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالى: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ الخ)".

خامساً: بيان الناسخ والمنسوخ، ومن ذلك قوله في سورة المجادلة: " واختلف [101/ب] في الناسخ لذلك: فقيل: هي منسوخة بالزكاة. وأكثر المفسرين إنها منسوخة بالآية التي بعدها وهي أأشفقتم كما سيأتي. وكان عَلِيّ يقول: وخفف عن هذه الأمة".

سادساً: بيان الأوجه الإعرابية الواردة في الآيات، وهو كثير في كتابه هذا، ومثاله في سورة الحديد: "وَجَعَلَ أبو علي الفارسي ﴿وَرَهْبَانِيَةً﴾ مُقْتَطَعَةً مِن العطْفِ عَلى مَا قبلَهَا مِنْ ﴿رَأفَةً وَرَحْمَةً﴾، فَانتَصَبَ عِنْدَهُ ﴿وَرَهْبَانِيَةً﴾ عَلى إضمارِ فِعْلٍ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ، فَهُوَ مِن بابِ الاشْتِغَالِ، أيْ: وابتدعوهَا رَهبانيةً ابْتَدَعُوْهَا. واتَّبَعَهُ الزَّمَخْشَرِيّ، فَقَالَ: وَانتِصَابُهَا بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ الظَّاهِرُ، تَقْديرُه: وَابْتَدعوهَا رَهْبَانِيَةً ابْتَدَعُوْهَا، يَعْنِي: وأحْدَثُوهَا [91/أ] مِنْ عندِ أنْفُسِهِمْ وَنَذَرُوْهَا".

سابعاً: بيان القراءات المتواترة أو الشاذة الواردة في كل آية، ونسبتها لقارئها، مع توجيهها أحيانا. كقوله في سورة الحشر: ﴿أوْ مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ﴾ يَتَستَّرُونَ بِه مِنْ أنْ تُصِيبوهم. وَقرأ الجمهورُ: ﴿جُدُر﴾ بِضَمَّتين، جَمْعُ جِدَارٍ، وأبو رَجاءٍ وَالحسنُ وابنُ وَثَّابٍ: بإسكانِ الدَّالِ تَخْفِيْفًا، وَرُوِيَتْ عن ابن كثيرٍ وعَاصمٍ والأعمشِ. وَقَرأ أبو عَمْرٍو وابنُ كثيرٍ وَكثيرٌ مِن المَكّيِّيْنَ: ﴿جِدَارٌ﴾ بالألفِ وكَسرِ الجِيمِ. وقَرأ كثيرٌ من المَكِّيِّيْنَ، وهَارونَ عَن ابنِ كَثيرٍ: ﴿جَدْرٍ﴾ بفتحِ الجِيمِ وَسُكونِ الدَّالِ. قَالَ صَاحِبُ اللَّوامِحِ: وَهُوَ آخِذٌ بِلُغَةِ اليَمَنِ.

ثامناً: بيان المسائل الفقهية المتعلقة بالآية، كقوله –رحمه الله– في سورة المجادلة: "فصل في أحكام الظهار" ثم بيَّن أحكام الظهار تفصيلا حسب آراء المذاهب الفقهية.

تاسعاً: بيان المسائل العقدية المتعلقة بالآية، ويردُّ أحيانًا على عقائد المعتزلة. ومن ذلك قوله –رحمه الله– في سورة الحديد: "﴿عَرْضُهَا﴾ أيْ: مِسَاحَتُهَا في السِّعَةِ، كَمَا قَالَ: فَذُوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ، أو: العَرْضُ خِلافُ الطُّوْلِ. فإذا وُصِفَ العرضُ بـ[البَسْطِ]، عُرِفَ أنَّ الطُّولَ أبسطُ وَأمَدُّ. ﴿أُعِدَّتْ﴾ يَدُلُّ عَلى أنَّهَا مخلوقَةٌ، وَتَكَرُّرُ ذلك في القرآنِ يُقَوِّي ذَلِكَ، وَالسُّنَّةُ نَاصَّةٌ على ذَلِكَ، وَذلِكَ يَرُدُّ عَلى المُعتزلةِ في قَوْلِهِمْ: إنَّهَا الآن غَيْرُ مخلوقةٍ وَسَتُخْلَقُ. ﴿ذَلِكَ﴾ أيْ: الموعودُ مِنَ المغفرةِ والجنَّةِ. ﴿فَضْلُ اللهِ﴾ عَطَاؤُه ﴿يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وَهُمْ المُؤْمِنُونَ".

عاشراً: سَرْدُ أقوال المفسرين واختلافهم في معنى الآية، ويورد أحيانا الراجح منها. ومثال ذلك في سورة الحشر: "ولَمَّا كان أمرُ القِيامةِ كَائِنًا لَا مَحَالَةَ، عُبِّرَ عنه بِالغَدِ، وَهو اليَومُ الذي يَلِي يومَكَ عَلى سَبِيلِ التَقْرِيْبِ. وقَالَ الحَسَنُ وَقتادةُ: لمْ يَزَلْ يُقِرُّ بِه حَتَّى جَعَلَهُ كَالْغَدِ، وَنَحوُه: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ [سورة يونس:24]، يُرِيدُ تَقْرِيبَ الزَّمَانِ المَاضِي. وقيل: عُبِّر عَن الآخِرةِ بِالغَدِ، كأنَّ الدُنيَا [والآخرةَ] نَهَارانِ، يَوْمٌ وَغَدٌ.

قال ابنُ عَطِيَّةَ: وَيحتَمِلُ أن يُرِيْدَ بِقَولِه: ﴿لِغَدٍ﴾ لِيَومِ المَوْتِ؛ لأنَّه لِكُلِّ إنسانٍ كَغَدِه.

وقال مُجاهدٌ وابنُ زيدٍ: بِالأمْسِ الدُّنْيَا وَغَدٍ الآخِرَةُ.

وقَال الزَّمخشرِيُّ: أمَّا تَنكيرُ النَّفسِ، فَاسْتِقْلَالٌ لِلأَنْفُسِ النَّوَاظِرِ فِيمَا قَدَّمْنَ لِلآخِرَةِ، كَأنَّه: قِيلَ لِغَدٍ لَا يُعْرَفُ كُنْهُهُ لِعِظَمِه".

الحادي عشر: وضع علامة من ثلاث نقاط تشبه علامة الوقف في المصحف هكذا (:. :.) بمعنى الشولتان المزدوجتان (" ")، كقوله في سورة الحشر: "قاله أبو علي، فيكون كقوله: :.عَلفتُها تبنا وماءً باردًا:. أو يكونُ ضِمْنَ".

الثاني عشر: ذكر الشعر العربي شاهدا لما ذكره من معاني الكلمات، كقوله عند ذكر معنى كلمة (رَهْبَةً) في سورة الحشر: "فَالرَّهْبَةُ وَاقِعَةٌ مِنْهُم لا مِنَ المُخَاطَبِينَ، والمُخَاطَبُونَ مَرْهُوبُونَ، وهَذا كَمَا قَال:

فَلَهُوَ أَخْوَفُ عِنْدِيْ إِذْ أُكَلِّمُهُ * وَقِيْلَ إِنَّكَ مَأسُوْرٌ وَمَقْتُوْلُ

مِنْ ضَيْغَمٍ بِثَرَاءِ الأَرْضِ مُخْدِرَةً * بِبَطْنِ عِثَّرَ غِيْلٌ دُوْنَهُ غِيْلُ".

وأما عن مصادر المؤلف في كتابه، فمن أهمها ما يلي حسب ترتيب تاريخ الوفاة:

أولاً: مصادره في التفسير

1. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لعبد الله بن عباس –رضي الله عنه– (ت: 68هـ).
2. بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (ت: 373هـ).
3. الإبانة الكبرى لأبي عبد الله ابن بَطَّة العكبري (ت: 387هـ).
4. الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد الثعلبي النيسابورى (ت: 427هـ).
5. تفسير الماوردي (النكت والعيون) لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت: 450هـ).
6. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود الزمخشري. (ت: 538هـ).
7. التفسير الكبير (مفاتح الغيب) لأبي عبد الله محمد فخر الدين الرازي (ت:606هـ).
8. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ).
9. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي (ت: 685هـ).
10. لباب التأويل في معاني التنزيل لأبي الحسن علاء الدين الخازن (ت: 741هـ).
11. اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين الدمشقي (ت: 775هـ).
12. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (ت: 542هـ).
13. مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله النسفي (ت: 710هـ).
14. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ).
15. غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن النيسابوري (ت:850هـ).
16. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: 774هـ).
17. نظم الدرر في تناسب الآيات لأبي الحسن إبراهيم البقاعي (ت: 885 هـ).

ثانيا: مصادره في علوم القرآن:

1. أسباب النزول، أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري (ت: 468هـ).
2. لباب النقول في أسباب النزول لعبد الرحمن، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ).

ثالثاً: مصادره في القراءات:

1. كتاب السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى التميمي (ت: 324هـ).
2. الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه. (ت: 370هـ).
3. معاني القراءات لمحمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ).
4. العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر إسماعيل بن خلف السرقسطي (ت: 455هـ).
5. الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها لأبي القاسم يوسف المغربي (ت: 465هـ).
6. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لشمس الدين الذهبي (ت:748).
7. تحبير التيسير في القراءات العشر لأبي الخير شمس الدين ابن الجزري (ت: 833هـ).
8. المكرر في ما تواتر من القراءات السبع لأبي حفص سراج الدين الشافعي (ت:938م).

رابعاً: مصادره في الحديث والسنة النبوية:

1. مصنف ابن أبي شيبة للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت: 235 هـ).
2. مسند إسحاق بن راهويه لأبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه (ت: 238هـ).
3. مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت: 241هـ).
4. سنن الدارمي لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي (ت: 255هـ).
5. الجامع الصحيح المختصر لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ).
6. صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت: 261هـ).
7. سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: 273هـ).
8. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت: 275هـ).
9. سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (ت: 279هـ).
10. السنن الصغرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: 303هـ).
11. مسند أبي يعلى لأبي يعلى أحمد بن عيسى بن هلال التميمي (ت: 307هـ).

خامساً: مصادره في الآداب واللغة:

1. ديوان امرؤ القيس لعبد الرحمن المصطاوي (ت: 540م).
2. شرح قصيدة كعب بن زهير لابن حجَّة الحمويّ (ت: 26هـ).
3. ديوان حسان بن ثابت لحسان بن ثابت الأنصاري (ت: 38هـ).

وصف نسخة المخطوط:

1. نسخة وحيدة بخط المؤلف، وبعض أجزائها بخط عبد العزيز محمد الصاوي، وكتبت سنة 1341هـ، ومنها مصور بمركز البحوث وتحقيق التراث بمكة المكرمة.
2. المخطوط مكتمل من سورة الفاتحة إلى سورة الناس وهو سليم فليس به مسح أو أكلة.
3. غلاف الكتاب عليه نقش الأزهر.
4. عدد الألواح: 2039.
5. عدد لوحات الجزء الأول (306) لوح متوسط الأسطر في كل لوح من (22) إلى (25) سطر.
6. وضعت فواصل وأقواس وكتبت الآيات وأسماء السور باللون الأحمر، وتحتوي على تعديلات وتعليقات في الهامش.
7. الألواح مرقمة.
8. أول صفحة من الكتاب كتب بأولها اسم الكتاب واسم مؤلفها وهي على النحو التالي:((الجزء الأول من الحاشية المسماة بالكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للعلامة النسفي، تأليف: الفقير إلى مولاه الجليل إبراهيم إبراهيم بصيلة)). وكتب في أسفل الصفحة: ((قررت له فحص الكتب في 8 ذي القعدة /14 يوليو 1920م أنه كتاب نافع للأزهر والمعاهد الأخرى مستحق للجائزة المنصوص عليها في المادة (125) من القانون رقم (10) 1911م، محضر رقم (24) سكرتير اللجنة: حمد عبد القادر)).
9. يوجد للمخطوط نسخة واحدة فقط بالمكتبة الأزهرية بمصر مكونة من ستة أجزاء، ويوجد نسخة ميكروفلمية مصورة عن النسخة المحفوظة بالمكتبة الأزهرية كاملة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث بمكة المكرمة.

صور من المخطوط:

صفحة الغلاف

أول صفحة في المخطوط

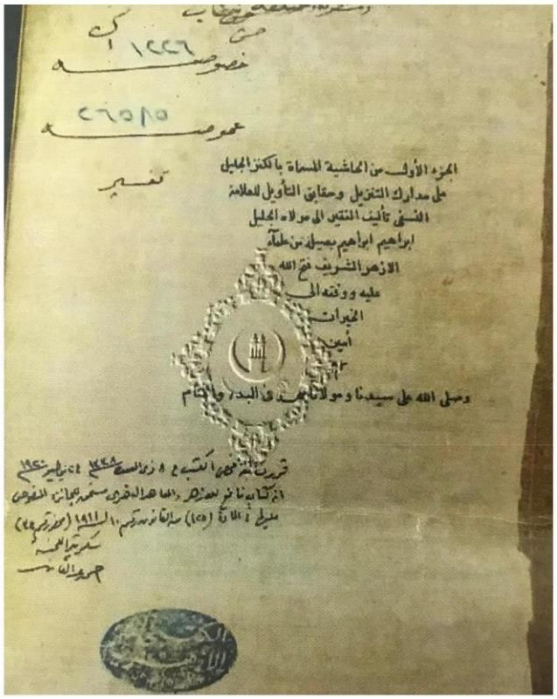

صفحة مقدمة المخطوط

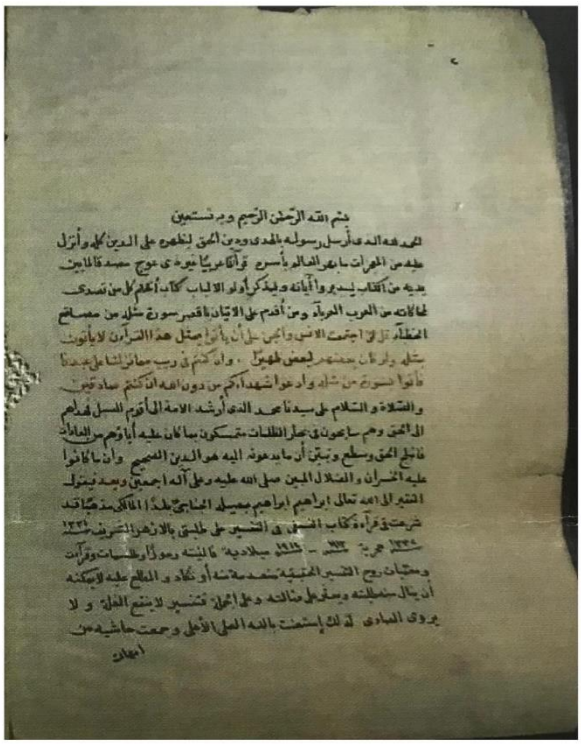

صفحة من وسط المخطوط

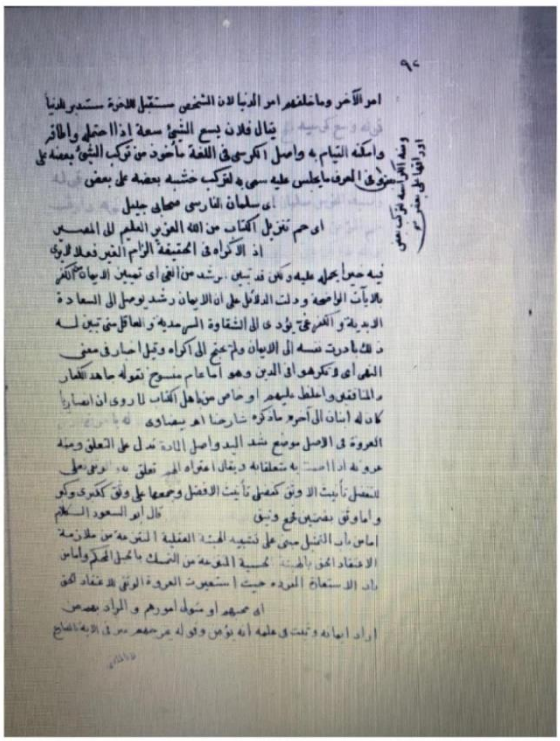

التحقيق

سورة الحديد، مكية وهي تسع وعشرون آية. ﴿سَبَّحَ لِلهِ﴾ جاء في بعض الفواتح (سبح) بلفظ الماضي، وفي بعضها بلفظ المضارع، وفي بني إسرائيل بلفظ المصدر... وإما أن يراد بـ﴿سَبَّحَ لله﴾ اكتسب التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصاً ﴿مَا فِيْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما يتأتى منه التسبيح ويصح. ﴿وَهُوَ العَزِيْزُ﴾ المنتقم من مكلَّف لم يُسَبِّح له عناداً ﴿الحكيم﴾ في مجازاة من سبح له انقيادا. ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ﴾ لا لغيره. وموضع ﴿يُحْيِي وَيُمِتُ﴾ رفع، أي: هو يحي الموتى. ﴿يُمِيْتُ﴾ الأحياء. أو: نصب؛ أي: له ملك السموات والأرض محييا ومميتاً ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيْرٌ﴾ .(al-Nasfi, 1998: 3/432)

قوله: [79/أ] (**مَكِّيَّةٌ**): مَكِّيَّةٌ، أو مَدَنِيَّةٌ.

قوله: (وهي تسعٌ وعشرونَ آيةً): وهي تسعٌ وعشرونَ آيةً، وخمسُمِائةٍ وأربعٌ وأربعونَ كلِمةً، وألفانِ وأربعُمِائةٍ وسِتَّةٌ وسَبعونَ حَرفًا. ومناسبةُ أولِ هذه السورةِ لآخِرِ مَا قبلَها وَاضِحةٌ؛ لأنه تعَالى أَمَرَ بالتسبيحِ، ثُمَّ أخبر: أنَّ التسبيحَ المأمورُ به قد فَعَله والتَزَمَه كُلُّ مَنْ في السَّماواتِ والأرضِ، حرفًا (Abū Hayyān al-Andalūsī, 1998: 10/100).

قوله: (﴿سَبَّحَ لِلهِ﴾ [سورة الحديد:1]): قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ – لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (Sūrat al-Ḥadīd, V:1-2) إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا﴾ (Sūrat al-Ḥadīd, V:16) عبارةُ المُفَسِّرِ الخَطيبِ [للمزيد أنظر: Najm al-Dīn al-Gazī, 1997: 3/72) تُوضِحُ عبارةَ مُفَسِّرِنَا النَّسفِيِّ، فاقتَضَى الحالُ ذِكْرَها، وَنَصُّهُ: ولَمَّا خُتِمتِ الواقعةُ بالأمرِ بِتنزيهِه عَمَّا أنكره الكَفَرَةُ مِن البَعْثِ، جاءت هذه؛ لِتقريرِ ذلك التنزيهِ، فقال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلهِ﴾ (Sūrat al-Ḥadīd, V:1)، أيْ: المَلِكِ المُحِيْطِ بجميعِ صِفاتِ الكَمالِ، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/140)

قوله: (﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الحديد:1]): ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ أي: الأجرامِ العاليةِ والذي فِيهَا، ﴿وَالأَرْضِ﴾ وَالذي فيهَا، أيْ: نَزَّهَهُ كلُّ شيءٍ، فَاللامُ مَزِيدَةٌ وَجِيْءَ بِـ"مَا" دُوْنَ "مَنْ" تَغْلِيْبًا لِلْأَكْثَرِ، ﴿وَهُوَ﴾ أيْ: وَحْدَهُ، ﴿الْعَزِيْزُ﴾ الذي يَغْلِبُ كُلَّ شَيءٍ، وَلا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، ﴿الحَكِيمُ﴾ الَّذِيْ أتْقَنَ كلَّ شيءٍ صُنْعَهُ. قرأ قَالُون، وأبو عَمْرو، والكسَائِيّ بِسُكونِ الهَاءِ، وَالبَاقُوْنَ بضَمِّهَا (Abu Ḥafṣ al-misrī,2001: 38). حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/140).

قوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الحديد:2]): ﴿لَهُ﴾ [79/ب] أي: وَحْدَه، ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ومَا فيهما ومَا بينهما ظاهرًا وباطنًا، فالمُلْكُ الظَّاهِرُ: مَا هو الآن موجودٌ في الدُّنيَا مِن أرضٍ مَدْحِيَّةٍ، وسَماءٍ مَبْنِيَّةٍ، وكَوَاكِبَ مَضِيَّةٍ، وأفلَاكٍ، ورِيَاحٍ، وسِحَابٍ مَرْئِيَّةٍ، وغيرِ ذلك مِمَّا يحيط بِه عِلْمُه تَعَالى، والمُلْكُ البَاطِنُ: الغائبُ عَنَّا، وأعْظَمَه المضَافُ إلى الآخِرَةِ، وهو المَلكوتُ. ﴿يُحْيِي﴾ أيْ: له صفةُ الإحياءِ، فيُحيي ما شاء مِن الخَلْقِ بأنْ يُوْجِدَه عَلى صِفةِ الحياةِ كيف شاء في أطوارِ تَقَلُّبِهَا، كَيفَ شَاءَ ومِمَّا شاء. ﴿ويُمِيْتُ﴾ أي: له هاتان الصفتانِ على سبيلِ الاختيارِ والتَّجَدُّدِ والاستمرارِ، فهو قادرٌ على البَعْثِ

بدليلِ ما ثبت له من صفة الإحياء. ﴿وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٍ﴾ أيْ: مِن الإحيَاءِ والإماتةِ وغَيرِهما من كل مُمْكِن. ﴿قدير﴾ أي: بالغُ القُدْرَةِ، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/140).

﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ هو القديم الذي كان قبل كل شيء، ﴿وَالْآخِرُ﴾ الذي يبقي بعد هلاك كل شيء، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة الدالة عليه، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ لكونه غير مدرك بالحواس وإن كان مرئياً. والواو الأولى معناها: الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية، والثالثة: على أنه الجامع بين الظهور والخفاء، وأما الوسطى: فعلى... مِنْ: ظَهَر عليه، إذا علاه وغلبه (والباطن) الذي بطن كل شيء، أي: علم باطنه ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (al-Nasfi, 1998: 3/432).

قوله: (﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾[سورة الحديد:3]): ﴿هُوَ﴾ أيْ: وَحدَه. ﴿الأوَّلُ﴾ بالأزليَّةِ قبل كل شيءٍ، فلَا أوَّل له، والقديم الذي منه وجودُ كلِّ شيءٍ، وليس وجودُه من شيءٍ؛ لأنَّ كُلَّ ما نشاهده مُتأثِّر؛ لأنه مُتَغَيِّرٌ، وكل ما كان كذلك، فلا بد له من مُوْجِدٍ غيرِ مُتأثِّرٍ ولا مُتَغَيِّرٍ. ﴿والآخِرُ﴾ أي: بالأبدية الذي ينتهي إليه وجودُ كلِّ شيءٍ في سلسلة التَّرَقِّي، وهو بعدَ فَناءِ كل شيءٍ بَاقٍ فلا آخِرَ له؛ لأنه يستحيل عليه نَعْتُ العَدَمِ؛ لأن كُلَّ ماسِواه مُتغير وكلُّ ما تغيَّر بنوع من التَّغَيُّرِ جاز إعدَامُه، وما جاز إعدامُه فلا بُدَّ له مِن مُعدِمٍ يكون بعدَه، ولا يُمكن إعدامُه، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/140).

قوله: (﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[سورة الحديد: 3]): ﴿الظَّاهِرُ﴾ أي: الغالبُ العَلِيُّ على كل شيء. ﴿والبَاطِنُ﴾ أيْ: العالِمُ بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس.

وقال يَمَانُ: "هو الأولُ القديمُ، والآخرُ الرَّحِيمُ، والظاهرُ الحَكِيمُ، والبَاطِنُ العَلِيْمُ".

وقال السُّدِّي: "هو الأوَّلُ بِبِرِّه، إذْ عَرَّفكَ تَوحيدَه؛ والآخِر بِجُودِه، إذ عرَّفك التوبةَ على ما جَنَيْتَ؛ والظاهرُ بتَوْفِيقِه، إذ وَفَّقَك لِلسُّجودِ له؛ والباطنُ بِسَتْرِه، إذ عَصَيتَه فَسَتَرَ عَلَيْكَ".

وقال الجُنَيْدُ: "هو الأول بشَرْحِ القلوبِ، والآخِرُ بغفران الذنوبِ، والظَّاهِرُ بكشف الكُرُوْبِ، [80/أ] وَالباطِنُ بعلم الغُيُوْبِ".

وسأل عمرُ كعبًا عن هذه الآية، فقال: "معناها: أنَّ علمَه بالأوَّلِ كَعِلمه بالآخِر، وَعِلْمَه بالظاهر كعلمه بالباطن" حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/140).

قوله: (﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الحديد: 4]): أي: لكون الأشياء عنده على حَدٍّ سَوَاءٍ، والبطونُ والظهورُ إنما هو بالنسبة إلى الخَلْقِ، وأمَّا هو سبحانه وتعالى فلا باطنَ من الخَلق عنده، بل هم في غايةِ الظهورِ لديه؛ لأنه الذي أوجدهم. فإنْ قيل: ما معنى هذه الوَاوَاتِ؟ أُجِيبُ: بأنَّ الواوَ الأولى معناها: الدلالةُ على أنه الجامعُ بين الصفتين الأوَّلِيَّةِ والآخِريَّةِ، والثالثة: أنه الجامع بين الظُّهورِ والخَفاءِ، وأما الوُسْطى: فَعَلى أنه الجامعُ بين الصِّفتين الأُوَلَيَيْنِ ومَجْمُوعُ الصِّفَتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ. فهو المستمرُ الوُجودُ في جَمِيعِ الأوْقاتِ الماضيةِ والحاضرةِ والآتيةِ، وهو في جميعِها ظاهرٌ وباطنٌ جَامِعُ الظُّهورِ بالأدِلَّةِ وَالخَفَاءِ، فلا يُدْرَكُ بِالحَوَاسِّ. قال الزمخشري: "وفي هذا حُجَّةٌ على من جوَّز إدراكَه في الآخِرَة بالحَاسَّةِ" (al-Zamakhsharī, 1986: 4/472). وهذا عَلى رأيِه الفَاسدِ، وهو عَلى رأيِ المُعتزِلةِ

المُنْكِرين رُؤيةَ اللهِ تعالى في الآخِرةِ، وأما أهلُ السنة: فإنهم يُثْبِتونَ الرُّؤيَةَ لِلأحاديثِ الدَّالَّةِ على ذلك مِن غَيْرِ تشبيهٍ ولا تَكييفٍ، تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوًّا كَبِيْرًا. عَنْ سُهَيلٍ قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ). وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم- (Ṣaḥīḥ Muslim: 8/78/7064)، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/140)

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ عن الحسن: من أيام الدنيا. ولو أراد أن يجعلها في طرفة عين لفعل، ولكن جعل الستة أصلاً؛ ليكون عليها المدار. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ استولى، ﴿عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ ما يدخل في الأرض من البذر، والقطر، والكنوز، والموتى. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره. ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الملائكة والأمطار، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الأعمال والدعوات. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ بالعلم والقدرة عموماً، وبالفضل والرحمة خصوصاً. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم على حسب اعمالكم (al-Nasfi, 1998: 3/433).

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [سورة الحديد: 4]): ﴿هُوَ﴾ أي: وَحْدَه، ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ وجَمَعَهَا لعِلْمِ العَرَبِ بتَعدُّدِها. ﴿والأَرْضَ﴾ أيْ: الجنسَ الشاملَ [للكُلِّ]، وأفرَدَها لعدم توصُّلِهم إلى العلم بتعددها.[80/ب] ﴿فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: من أيَّامِ الدنيا، أوَّلُها الأحدُ، وآخِرُها الجُمُعَةُ؛ سَنًّا للتَّأَنِّيْ فِي الأُمُور، وتَقديرًا للأيَّامِ الَّتي أَوْتَرَهَا سَابِعُها، الَّذِي خُلِقَ فيه الإنسانُ، الذي دَلَّ يومَ خَلْقِه بِاسمه الجُمُعةُ عَلى أنَّه المَقْصُودُ بِالذَّاتِ، وبِأنَّه السَّابعُ نِهَايةُ المخلوقات، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141).

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة الحديد: 4]): أي: السريرِ كنايةً عن انفرادِه بالتَّدبيرِ وإحاطةِ قُدرتِه وَعِلمِه، كَمَا يُقَالُ فِي مُلوكِنا جلس فلان على سرير الملك، بمعنى: أنه انفرد بالتدبير لا يَكونُ هناك سريرٌ فَضلًا عَنْ جُلُوسٍ، وأتَى بأداة التراخي؛ تنبيهًا على عظمته، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141).

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [سورة الحديد: 4]): ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ أي: يدخل دخولا يَغيب فيه. ﴿فِي الأَرْضِ﴾ أي: من النبات وغيره من أجزاء الأموات وغيرها، وإن كان ذلك في غاية البُعد، فإنَّ الأمَاكِنَ كُلَّهَا بالنسبة إليه تعالى على حَدٍّ سَوَاءٍ في القُرْبِ والبُعْدِ. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أي: كذلك.

تنبيه: في التعبير بالمضارع دلالةٌ على ما أوْدَع في الخافقين مِن القُوَى، فصارَا بحيثُ يَتَجدَّدُ منهما ذلك بخلقه تَجَدُّدًا مستمِرًّا إلى حِينِ خَرابِهما، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141).

قوله: ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [سورة الحديد: 4]): ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ مِن الوَحْيِ، والأَمْطَارِ، والحَرِّ، والبردِ، وغيرِهَا مِنَ الأعيَانِ والمَنَافِعِ، التي يُوجِدُها سُبحَانَه وتَعالى مِنْ مَقَادِيرِ أعْمَارِ بَني آدم، وأرزاقهم وغيرها من جميع شُؤونِهِمْ. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيْهَا﴾ أيْ: يَصعَدُ ويَرْتَقِيْ وَيَغِيْبُ، ﴿فِيْهَا﴾ كَالأَبْخِرَةِ وَالأنوَارِ والكَوَاكِبِ والأعْمَالِ

وغيرِهَا وَلَمْ يجمعِ السَّمَاءُ؛ لأنَّ المَقصودَ حَاصلٌ بِالواحدةِ مع إفهامِ التَّعبيرِ بِهَا الجِنْسُ الشَّامِلُ لِلْكُلِّ، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141)

قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة الحديد: 4]): ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بالعلمِ والقُدْرَةِ أيُّهَا الخَلْقُ. ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ لَا يَنْفَكُّ علمُه وقدرتُه عَنكم بِحَالٍ، فَهُوَ عَالِمٌ بجميع أمورِكم وَقادرٌ عليكم، تعالى الله عن اتصالٍ بالعَالَمِ ومُمَاسَّةٍ، أو انفصالٍ عنه بغيبة أو مُسافةٍ. ﴿واللهُ﴾ أي: المحيط بجميع صفات الكمال. ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: على سبيل التَّجدُّد والاسْتمرَارِ. ﴿بَصِيْرٌ﴾ أي: عالمٌ بجليله وحقيره فيُجازيكم به. وقُدِّمَ الجارُ لمزيدِ الاهتمامِ، والتنبيهِ عَلى تَحقِيقِ الإحاطَةِ، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141).

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ – يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يدخل الليل في النهار، بأن ينقص من الليل، ويزيد من النهار ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ .(al-Nasfi, 1998: 3/433)

قوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [سورة الحديد:5]): ﴿لَهُ﴾ أيْ: وحده. [81/أ] ﴿مُلْكُ السَمٰوَاتِ﴾ وجمع لاقتضاء المقام له، ﴿وَالأَرْضِ﴾ وأفرد لخفاء تعددها عليهم مع إرادة الجنس، ودل على إرادة ملكه وإحاطته بقوله تعالى: ﴿وَإِلىٰ اللهِ﴾ أي: الملك الذي لا كُفُؤَ له وحده. ﴿تُرْجَعُ﴾ بكل اعتبار على غاية السهولة. ﴿الأُمُوْرُ﴾ أي: كلها حسا بالبعث، ومعنى بالابتداء والإفناء، ودل على ذلك بقوله تعالى: ﴿يُوْلِجُ﴾، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141).

قوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ [سورة الحديد: 6]): ﴿يُولِجُ﴾ أي: يَدخُلُ وَيَغيبُ بِالنَّقْصِ وَالمَحْوِ، ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ فإذا هو قد قَصُرَ بعد طُوله وقد انْمَحَى بَعْدَ تَشَخُّصِه وحُلولِه، وزاد النهارُ وَمَلأَ الضِّياءُ الأقطارَ بعد ذلك الظَّلَامِ، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141).

قوله: ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة الحديد: 6]): ﴿وَيُوْلِجُ النَّهَارَ﴾ الَّذِي عَمَّ الكونَ ضياؤُه، ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ الذي كان قد غاب في عِلْمِه، فإذَا الظَّلَامُ قَدْ طَبَقَ فِي الآفاقِ، فَيَزِيدُ الليلُ والطُولُ الذي كان في النَّهارِ قد صار نَقْصًا، ﴿وَهُوَ﴾ أي: وَحْدَه، ﴿عَلِيْمٌ﴾ أي: بَالِغٌ بِالْعِلْمِ، ﴿بِذَاتِ الصُّدُوْرِ﴾ أي: بِمَا فِيْهَا مِنَ الأَسْرَارِ والْمُعْتَقِدَاتِ على كثرةِ اختلافِها وَتَغَيُّرِهَا وَإِنْ خُفِيَتْ على أصحَابِهَا. حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141).

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا﴾ يحتمل الزكاة، والانفاق في سبيل الله، ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يعني: أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله ... فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم... أو ﴿جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ﴾ ممن كان قبلكم فيما... ولا تبخلوا به ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (al-Nasfi, 1998: 3/434).

قوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا﴾ [سورة الحديد: 7]): ولما قامتِ الأدلةُ على تنزيهِه سُبحَانه، قال تعالى آمرًا بِالإذعَانِ له ولرسولِه ': ﴿آمِنُوا﴾ أي: أيُّها الثَّقلان، ﴿بِاللهِ﴾ أي: المَلِكِ الأعْظَمِ الَّذِي لا مِثْلَ له، ﴿وَرَسُوْلِه﴾ الذي عَظَمَتُه مِن عَظَمَتِه، وَنَزَلَ في غَزْوَةِ العُسْرَةِ وهي غزوة تبوك، ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ أي: في سبيل الله. حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141).

قوله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [سورة الحديد: 7]): أي: من الأموال التي في أيديكم فإنها أموال الله تعالى؛ لأنَّهَا بِخلقِه وإنشائه لَهَا، وإنما موَّلكم إياها، وخوَّلكم بالاستمتاع بها، وجعلكم خُلَفَاءَ في التَّصَرُّفِ فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلةِ الوَكَلاءِ والنُّوَّابِ، فأنْفِقُوا مِنها في حُقوقِ اللهِ تَعَالى ولِيَهُنْ عليكم الإنفاقُ مِنها كما يَهُونُ عَلى الرَّجُلِ النفقةُ من مَال غَيْرِه إذَا أُذِنَ له فيه، أو جَعلَكم مُسْتَخْلَفِيْنَ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكم فيما في أيديكم بِتَوريثِه إيَّاكُمْ، فاعْتَبِرُوا بحَالِهم حَيثُ انْتَقَلَ منهم إليكم، وسَيَنْقُلُ مِنْكُمْ إلى مَنْ بَعْدَكُمْ، [81/ب] فلا تَبْخَلُوا بِه، وانْفَعُوا بِالإنْفَاقِ مِنْها أنفسَكم. حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141).

قوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الحديد: 7]): ولما أمرَ الله تعالى بالإنفاقِ وَوَصَفَهُ بِمَا سَهَّلَه، سَبَّبَ عَنْهُ مَا يَرْغَبُ فِيْهِ، فَقَالَ تَعَالى: ﴿فَالذِيْنَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُواْ﴾ مِنْ أمْوَالِهِمْ فِي الوُجوهِ الَّتِي نَدَبَ إليها على وجهِ الإصلاحِ على ما دلَّ عليه التعبيرُ بالانفاقِ. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيْرٌ﴾ أي: لا تَبْلُغُ عقولُكم حقيقةَ كُبْرِه، فاغتنموا الإنفاقَ فِي أيَّامِ استخلافِكُمْ قَبْلَ عَزْلِكُمْ، وإتْلَافِكُمْ. وَخَصَّهُمْ بِالذُّكُورِ بِقَوْلِه تَعَالى: ﴿مِنْكُمْ﴾ لِضَيْقِ فِي زَمَانِهِمْ، وقيلَ: أنَّ ذلك إشارةً إلى عُثمانَ –رضي الله عنه–، فإنَّه جَهَّزَ جيشَ العُسْرَةِ. حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141).

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ هو حال من معنى الفعل في ﴿مَا لَكُمْ﴾ كما تقول مالك قائماً؟ بمعنى: ما تصنع قائماً؟ أي: ومالكم كافرين بالله، والواو في ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال، فهما حالان متداخلتان. والمعنى: وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم ﴿لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بقوله ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172]؟ أو: بما ركب فيكم من العقول، ومَكَّنَكُم من النظر في الأدلة. فإذا لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول، وتنبيه الرسول، فما لكم لا تؤمنون ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لموجب ما؟ فإن هذا الموجب لا مزيد عليه. ﴿أُخِذَ ميثاقكم﴾ أبو عمرو .(al-Nasfi, 1998: 3/434)

قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الحديد: 8]): وقوله تعالى: ﴿وَمَا﴾ أي: وأيُّ شيْءٍ، ﴿لَكُمْ﴾ مِنَ الأعذَارِ أو غيرِهَا فِي أنَّكُمْ أوْ حَالِ كَونِكم. ﴿لَا تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ﴾ أيْ: تُجدِّدُون الإيمانَ تجديدًا مُسْتَمِرًّا بالمَلِكِ الأعْلىٰ، أي: الذي له المُلْكُ كُلُّهُ والأمرُ كُلُّه خِطَابٌ لِلْكُفَّار، أي: لا مانعَ لكم بعدَ سَمَاعِكُم مَا ذُكِرَ. ﴿والرَّسُوْلُ﴾ أيْ: والحَالُ أنَّ الَّذِي لَه الرِّسَالةَ العَامَّةَ، ﴿يَدْعُوْكُمْ﴾ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ. ﴿لِتُؤْمِنُوْا﴾ أيْ: لِأَجْلِ أنْ تُؤمِنوا، ﴿بِرَبِّكُمْ﴾ الَّذِي أحْسَنَ تربيتَكم بِأَنْ جَعَلَكُم مِنْ أُمَّةِ هَذا النَّبِيِّ الكَرِيْمِ –صلى الله عليه وسلم– فشَرَّفَكم بِه، ﴿وَقَدْ﴾ أيْ: الحَالُ أنَّهُ قَدْ ﴿أَخَذَ مِيْثَاقَكُمْ﴾ أيْ: وَقَعَ أَخْذُه، فَصَارَ فِي غَايَةِ القَبَاحَةِ تَرْكُ التَّوَثُّقِ؛ بِسَبَبِ نَصْبِ الأَدِلَّةِ والتمكينِ مِن النَّظْرِ بِإبداعِ العُقولِ، وذلك كلُّه مُنْضَمٌّ إلى أخْذِ الذُّرِّيَّةِ مِنْ ظَهْرِ آدمَ –عليه السلام–، حِينَ أشهدهم عَلى أنفُسِهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلىٰ﴾، وقَرأ أبو عَمْرٍو: بضَمِّ الهمزةِ، وَكَسْرِ الخَاءِ، وَرَفْعِ القَافِ عَلىٰ البِنَاءِ لِلْمَفْعُوْلِ؛ لِيَكونَ المَعْنَى من أيِّ آخِذٍ كَانَ مِنْ غَيرِ نَظْرٍ إلىٰ مُعَيَّنٍ. وَقَرَأ البَاقُونَ بِفَتْحِ الهمزةِ والخَاءِ وَنَصْبِ القَافِ عَلىٰ البَنَاءِ لِلْفَاعِلِ (Ibn al-Khalwīh, 1980: 1:341)، والآخذُ هُوَ

اللهُ القَادِرُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ، العَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ. والحاصل: أنهم نَقضُوا المِيثاقَ فِي الإيمانِ، فَلَمْ يُؤَاخِذْهُمْ حَتّٰى أَرْسَلَ الرُسُلَ. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾ أي: مُرِيْدِيْنَ الإِيْمَانَ فَبَادِرُوا إِلَيْهِ، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141).

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد –صلى الله عليه وسلم– ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ الله تعالى أو محمد بدعوته ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بالمد والهمزة حجازي، وشامي، وحفص ﴿رَّحِيمٌ﴾ الرأفة: أشد الرحمة .(al-Nasfī, 1998: 3/434)

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ﴾ [سورة الحديد: 9]): ﴿الَّذِيْ﴾ أي: لا غيرُه، ﴿الَّذِيْ يُنَزِّلُ﴾ أيْ: على سبيل التدريج، والمُوَالَاةِ بِحَسْبِ الحَاجَةِ، [82/أ] وَقرأ ابنُ كثيرٍ وأبُو عَمرٍو: بسُكُوْنِ النُّونِ وتَخْفِيْفِ الزَاي، والبَاقون: بفتح النون وتشديد الزاي (al-Qāḍī: 1/313)، ﴿عَلىٰ عَبْدِه﴾ الذي هو أحقُّ النَّاسِ بِحَضْرَةِ جَمالِه وإكرَامِه وهُو مُحَمَّدٌ –صلى الله عليه وسلم–. ﴿آيَاتٍ﴾ أي: علاماتٍ، هي مِن ظُهُورِهَا حقيقةٌ أن يرجع إليها ويتعبد بها، ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ أي: وَاضِحاتٍ، وَهِيَ آيَاتُ القُرآنِ الكريمِ. ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ أي: اللهُ بِالقُرآنِ، وَعَبْدُه بِالدَّعْوَةِ، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/141).

قوله: ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحديد:9]): ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ التي أنتم منقسمون فيها من الحُظوظ والنقائصِ التي جُبِلَ عليها الإنسانُ، والغَفلةِ الكَامِلةِ عَلى تراكُمِ الجَهلِ، فَمَنْ أتاه اللهُ تَعَالى العلمَ والإيمانَ، فقد أخرجَه مِن هَذه الظُّلمَاتِ التِي طَرأتْ عَلَيْه، ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الذي كان له وصفًا لرُوحِه وفِطْرَتِه الأوْلىٰ السَّليمَةِ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ أيْ: الَّذِي كَانَ له صِفاتُ الكَمالِ، ﴿بِكُمْ لَرَءُوفٌ﴾ أيْ: حيثُ نبَّهكم بالرُّسلِ والآياتِ، ولم يقتصرْ عَلىٰ مَا نُصِبَ لكم مِن الحُجَجِ العَقليَّةِ. وقرأ أبو عمرو والكَسائي: بقصر الهمزة، والباقون: بالمد، وورش: على أصله بالمد والتوسُّط والقصر، وليس قصره كقصر أبي عمرو ومن معه، وإنما قَصْرُه كَمَدِّ قالون ومن وافقه (al-Qāḍī: 1/313)، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/142).

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا﴾ في أن لا تنفقوا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرث كل شيء فيهما... ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ أي: فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله... يدل عليه ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين أنفقوا قبل الفتح ... ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا﴾ أي: كل واحد من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: المثوبة الحسنى... وفيه دليل على فضله وتقدمه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم على قدر أعمالكم .(al-Nasfī, 1998: 3/435)

قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الحديد: 10]): ﴿وَمَا﴾ أيْ: وأيُّ شَيْءٍ يَحْصُلُ، ﴿لَكُمْ﴾ فِي ﴿أَلَّا تُنْفِقُوْا﴾ أيْ: تُوْجِدوا الإنفاقَ للمَالِ. ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أيْ: فِي كُلِّ مَا يَرضَى المَلِكُ الأعظمُ، الذي له صِفاتُ الكمالِ لِيَكُونَ لكم به وَصْلَةٌ، فَيَخُصَّكُمْ بالرأفةِ التي هي أعظمُ الرَّحْمَةِ، فإنَّه مَا بَخِلَ أحدٌ عَنْ وَجْهِ خَيْرٍ إلَّا سَلَّط اللهُ عليه غرامةً فِي وَجْهِ شَرٍّ، ﴿وَلِلَّهِ﴾ أي: الذي له صفات الكمال، لا سِيَّمَا صِفةُ الإرثِ المُقْتَضِيَّةُ للزُّهدِ فِي المَوْرُوْثِ، ﴿مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أيْ: يَرِثُ كلَّ شيءٍ فِيهِمَا، فلا يبقى

لأحدٍ مالٌ. فَمَنْ تَأَمَّلَ أنه زائلٌ هُوَ وَكُلُّ ما في يده، والموتُ مِن ورائِه، وطَوَارِقُ الحَوادِثِ مُطَبِّقَةٌ بِه، وعَمَّا قَلِيْلٌ يَنقُل مَا في يدِه إلى غَيرِه، هَانَ عليه الجُوْدُ بِنَفْسِه وَمَالِه، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/142).

قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [سورة الحديد: 10]): ثم بيَّن تعالى التَّفَاوُتَ بَيْنَ المُنْفِقِين منهم، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ﴾ أيْ: أوْجَد الإنفاقَ فِي مَالِه وجَمِيْعِ قُوَاه وَمَا يَقْدِرُ عَليه. [82/ب] ﴿مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ أيْ: الَّذِي هُوَ فَتَحَ جميعَ الدُّنيَا في حقيقةٍ، وهو فَتْحُ مَكَّةَ، الذي كان سببًا لِظُهورِ الدِّينِ الحَقِّ عَلى الدِّيْنِ كُلِّه، ﴿وَقَاتَلَ﴾ سعيًا فِي إنفَاقِ نَفْسِه لِمَنْ آمَنَ به قَبْلَ الإسلامِ، وَقُوَّةِ أهلِه، ودُخُولِ النَّاسِ فِي دِيْنِ اللهِ أفواجًا، وقِلَّةِ الحاجَةِ إلى القتالِ والنَّفقةِ فيه، (وَمَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ الفَتْحِ) فَحُذِفَ لِوُضُوحِه ودَلَالَةِ مَا بعده عَلَيه، وَفَضَّلَ الأَوّلَ؛ لِمَا ناله إذْ ذاكَ بالإنفاقِ مِنْ كَثْرَةِ المَشَاقِّ لِضَيْقِ المَالِ حِيْنَئِذٍ. وفي هذا دليلٌ على فَضْلِ أبي بَكْرٍ، فإنَّه أوَّلُ مَنْ أنفق لم يَسْبِقْهُ في ذَلك أَحَدٌ، وخَاصَمَ الكُفَّارَ حتى ضَرَبَ ضربًا شديدًا أَشْرَفَ مِنْهُ على الهَلاكِ. رَوَى محمدٌ بْنُ فُضَيْلٍ عن الكلبي: "أنَّ هَذه الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِيْ بَكْرٍ الصِّدِّيْق" (al-wāḥidī, 1968: 374) وعن ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: (كُنْتُ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– وَعِنْدَهُ أَبُوْ بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ –رضي الله عنه– عَلَيْهِ عَبَاءَةٌ، قَدْ خَلَّها فِي صَدْرِه بِخِلَالٍ فَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيْلُ –عليه السلام–، فقَالَ: مَا لِي أرَى أبَا بَكْرٍ عليه عَباءةٌ قَدْ خَلَّهَا بِخِلَالٍ؟ فقَالَ: أنْفَقَ مَالَهُ عَلَيَّ قَبْلَ الفَتْحِ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ تعالى يقول: اقرأ عليْهِ السَّلَام، وَقُلْ لَهُ أَرَاضٍ أنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذا أم سَاخِطٌ؟ فقَال النَّبِيّ –صلى الله عليه وسلم–: يا أبا بكر، إن الله تعالى يَقْرَأُ عليك السلامَ، ويقول لك أرَاضٍ أنْتَ عَنِّي في فقرك هذا أم ساخطٌ؟ فَقَالَ أبو بكر: أسْخَطُ عَلىٰ رَبِّي؟ إنِّي عَنْ رَبِّي رَاضٍ، إني عن ربي راضٍ) (Ibn al-Muqri', 1998: 1/82/166, Abū Nu'aym al-Asbahānī, 1997: 74)، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/142).

قوله: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [سورة الحديد: 10]): ﴿أولَئِكَ﴾ أي: المُنفِقُونَ المُقَاتِلُون، وهم السابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار، الذين قال فيهم النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– : (لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ وَلَا نَصِيْفَه)(Abū Dāwud, 2009: 7/53/4658) ؛ لِمُبَادَرَتِهِمْ إلىٰ الجُوْدِ بِالنَّفْسِ والْمَالِ. ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ وَتعظيمُ الدَّرَجةِ يَكُونُ لِعَظْمِ صَاحِبِهَا، ﴿مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ﴾ أي: من بعدِ الفتحِ، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/142).

قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحديد: 10]): ﴿وَكُلًّا﴾ أي: وَكُلَّ واحدٍ مِن [الفريقين]. ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ أي: الذي له الجلالُ والإكرامُ، ﴿الْحُسْنَى﴾ أيْ: المَثُوْبَةَ الحُسْنىٰ [83/أ] وَهِيَ الجنةُ مع تَفَاوُتِ الدَّرَجَاتِ، وقَرَأَ ابنُ عامرٍ بِرَفْعِ اللام على الابتداء، أي: مُكَمِّلُ وَعْدِه؛ لِيُطابِقَ مَا عُطِفَ عَليه، والبَاقُون بِنَصْبِهَا، أيْ: وَعَدَ كُلًّا. ﴿وَاللَّهُ﴾ أي: الذي له الإحاطةُ الكَامِلةُ بجميعِ صِفَاتِ الكمالِ، ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: تُجَدِّدُون عَمَلَه عَلى الأوْقاتِ، ﴿خَبِيرٌ﴾ أيْ: عَالِمٌ بِبَاطِنه وظاهِرِه عِلْمًا لا مَزيدَ عَليه بِوَجْهٍ، فهل يجعلُ جزاءَ الأعمالِ عَلى قَدْرِ النِّيَّاتِ التي هِيَ أرْوَاحُ سُوَرِهَا.

تنبيه: التقدم والتأخر قد يكون في أحكام الدين، وقد يكون في أحكام الدنيا، فأما التقدم في أحكام الدين، فقالت عائشة–رضي الله عنها–: (أَمَرَنَا رَسُوْلُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ) (al-Bayhaqī, 2003: 13/267/10489). وَأَعْظَمُ المَنَازِلِ مَرْتَبَةُ الصَّلَاة، وقد قال –صلى الله عليه وسلم– في مَرَضِه: (مُرُوْا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ) (al-Bukhārī, 2001: 1/133/664) وقَالَ –صلى الله عليه وسلم–: (يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ) (Ibn Mājah: 1/313/980) وقال –صلى الله عليه وسلم–: (وَلْيَؤُمَّكُمَا أَكْبَرُكُمَا) (al-Bukhārī, 2001: 4/28/2848)،

وأمَّا في أحكام الدنيا فهي مُرَتَّبَةٌ عَلى أحكامِ الدِّينِ، فَمَنْ قَدَّمَ فِي الدِّينِ، قَدَّمَ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الحَدِيْثِ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا) (Abū Ya'lā al-Tamīmī, 1984: 6/191/3476). وفي الحديث: (مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ عِنْدَ سِنِّهِ مَنْ يُكْرِمُهُ) (al-Bayhaqī, 2003: 3/362/10485). حرفًا –al (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/142).

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بطيب نفسه. والمراد: الانفاق في سبيله، واستعيد لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء. ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ أي: يعطيه أجره على إنفاقه أضعافاً مضاعفة من فضله ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف ﴿كريم﴾ في نفسه. ﴿فيُضَعِّفُه﴾ مكي، ﴿فيضعِّفَه﴾ شامي، ﴿فيُضاعِفَه﴾ عاصم، وسهل ﴿فيضاعفُهُ﴾ غيرهم. فالنصب على جواب الاستفهام، والرفع على: فهو يضاعفه، أو عطف على ﴿يقرض﴾ .(al-Nasfi, 1998: 3/435)

قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الحديد: 11]): ثم رَغَّبَ في الإنفاقِ بقوله تعالى: ﴿مَنْ﴾ وأكَّد بالإشارة بقوله تعالى: ﴿ذَا﴾ لأجل ما للنفوس مِن الشُّحِّ، ﴿الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: يعطي الذي له جميعُ صِفاتِ الجَلَالِ والإكرامِ، شُبِّهَ ذلك بالقرض على سبيل المجاز؛ لأنه إذا أعطى المُسْتَحِقَّ مالَه لوجهِ اللهِ تعالى، فكأنه أقْرَضَه إيَّاه، ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: طيِّبًا خالصًا مُخْلِصًا فِيه مُتَحَرِّيًا بِه أفْضَلَ الوُجُوهِ مِنْ غَيْرِ مَنٍّ وكَدْرٍ بتسويفٍ وغيرِه. ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ أي: يُؤتِي أجرَه مِن عَشَرَةٍ إلى أكثرِ مِنْ سَبْعِمِائَةٍ، كَمَا ذَكَرَه فِي البَقَرَةُ إلى ما شاء اللهُ تَعالى مِنَ الأضْعَافِ، وَقِيْلَ: القَرْضُ الحَسَنُ: أنْ يَقولَ سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أكْبَرُ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: هُوَ النَّفَقةُ على الأهْلِ، وقَال الحَسَنُ: التَّطَوُّعُ بِالْعِبَادَاتِ. وقَرأ ابنُ عَامِرٍ: بِنَصْبِ الفَاءِ بَعْدَ العَيْنِ، والباقون بالرَّفْعِ، وقرأ ابنُ كثيرٍ وابنُ عَامِرٍ: بغير أَلِفٍ بعدَ الضادِ وتشديدِ العَيْنِ، والباقون: بأَلِفٍ بعدَ الضَّادِ وَتَخْفِيْفِ العَيْنِ (Ibn al-Khalwīh, 1980: 1:341)، ﴿وَلَهُ﴾ أي: للقرضِ زِيادةٌ على ذَلك ﴿أَجْرٌ﴾ لَا يَعْلَم قَدْرَه [83/ب] إلَّا اللهَ تعالى، وَهُوَ مَعْنى وَصْفِه بِقولِه تعالى: ﴿كَرِيْمٌ﴾ أي: حَسَنٌ طَيِّبٌ ذَاك تَامٌّ، حرفًا (al-Khatīb al-Shirbīnī, 1991: 4/142).

الخاتمة

يمكن أن نضع بعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة مع بيان بعض التوصيات، وهي في التالي:

أولا: نتائج البحث:

- إن العلامة إبراهيم بصيلة –رحمه الله– يُعد من كبار علماء الأزهر الشريف، وهو ممن سخروا جُلَّ أوقاتهم وأفنوا أعمارهم في سبيل العلم وخدمة أهله.
- تُعَدُّ حاشية "الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل" عند العلماء الذين جاءوا من بعده من أحسن الشروح لتفسير الإمام النسفي –رحمه الله– حيث اعتنى صاحبها وتميز بحرصه على انتقاء مادتها وشرحها بدقة.
- ومن خلال التتبع لحاشية "الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل" يظهر بعض المناهج التي سار عليها المؤلف –رحمه الله–، ومن أهمها: توضيح نوع السورة، هل هي مكية أم مدنية؟ وبيان عدد آيات السور، وعدد كلماتها، وعدد حروفها؛ بيان المناسبات بين السور أو الآيات؛ بيان أسباب النزول عند وجودها؛ بيان الناسخ والمنسوخ؛ بيان الأوجه الإعرابية الواردة في الآيات؛ بيان القراءات المتواترة أو الشاذة الواردة في الآيات، ونسبتها لقارئها، مع توجيهها أحيانا؛ بيان المسائل الفقهية والعقدية المتعلقة بالآيات، ويردُّ أحيانًا على عقائد المعتزلة؛ سَرْدُ أقوال المفسرين واختلافهم في معنى الآية، ويورد أحيانا الراجح منها؛ وضع علامة من ثلاث نقاط تشبه علامة الوقف في المصحف هكذا (:. :.) بمعنى الشولتان المزدوجتان (" ")؛ وذكر الشعر العربي شاهدا لما ذكره من معاني الكلمات.
- جمع المؤلف تفاسير المفسرين وأقوالهم من الكتب المعتبرة؛ لتوضيح بعض الآيات القرآنية التي لم يوفيها النسفي –رحمه الله– حقها من التفسير، ولِكشف الستار عما في تفسيره من مبهمات وغوامض.
- أوائل الآيات من سورة الحديد تتكلم عن التعريف بالله، والأمر بالإيمان والإنفاق، والنقاش في المانع منهما، والحث على الإنفاق بذكر ثواب المؤمنين المنفقين يوم الدين.

التوصيات

على الباحثين أن يهتموا بدراسة موارد الكتاب المخطوطة ونشرها محققة؛ لإثراء مكتبة التفسير وعلوم القرآن الكريم، وبدراسة حياة ونشأة العلامة إبراهيم بصيلة –رحمه الله– لا سيما أنه كان رئيسًا لهيئة كبار العلماء بجامع الأزهر الشريف، ونشرها وطباعتها لحيز الوجود.

References

Abu Bakr al-Bagdādī, Ahmad ibn Mūsā. 1979. *Kitab al-Sabʹat fi al-Qirāʾāh*. Egypt: Dār al-Maʿārif.

Abū Dāwud, Sulayman ibn al-ʾAshʿath al-Sijistānī. 2009. *Sunan Abī Dāwud*. al-Qẻhirah: Dār al-risālat al-ʿālamiyyah.

Abu Ḥafṣ al-Misrī, Sirāj al-Dīn. 2001. *al-Mukarrar fi mā Tawātara min al-Qirāʾāt al-Sabʹ*. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿilmiyyah.

Abū Hayyān al-Andalūsī, Muḥammad Athir al-Dīn. 1998. *al-Baḥru al-Muḥīt fī al-Tafsīr*. Bayrūt: Dār al-fikr.

Abū Manṣūr al-Harawī, Muḥammad ibn Aḥmad. 1991. *Maʹānī al-Qirāʾāt*. al-Saʿudiyyah: Markaz al-Buḥūth fi Kulliyyat al-ʾādāb, Jamiʿat al-Malik Saʿūd.

Abū Nuʿaym al-Asbahānī, Aḥmad ibn ʿAbdillah. 1997. *Faḍāʾil al-Khulafāʾ al-ʾarbaʿah wa Ghayruhum*. al-Madīnat al-Munawwarah: Dar al-Bukhārī li al-Nashr wa al-Tawziʿ.

Abū Yaʿlā al-Tamīmī, Aḥmad ibn ʿAlī ibn al-Muthannā. 1984. *Musnad abī Yaʿlā*. Dimashq: Dār al-Maʾmūn li al-Turāth.

al-ʻAlbānī, Abū ʿAbd al-Raḥmān Naṣir al-Dīn. WD. Ḍaʿīf al-Jāmiʿ. Dimashq: al-Maktab al-Islāmī.

al-ʻAlūsī, Shihāb al-Dīn Maḥmūd ibn ʿAbdillah. 1994. *Rūḥ al-Maʿānī Fī Tafsīr al-Qurān al-ʿaẓīm wa al-Sabʿi al-Mathānī*. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿilmiyyah.

al-Bayhaqī, Abū Bakr ʾAḥmad ibn al-Ḥusaʾin. 2003. *Shuʿab al-ʾĪmān*. al-Riyād: Maktabah al-Rushd li al-Nashr wa al-Tawzīʿ.

al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʿīl al-Juʿfi. 2001. *al-Jamiʿ al-Ṣaḥiḥ al-Mukhtaṣar*. Bayrūt: Dār Ṭawq al-Najāt.

al-Dāruquṭnī, Abū al-Hasan ʿAlī ibn ʿUmar. 1986. *al-Muʾtalif wa al-Mukhtalif*. Bayrūt: Dār al-Gharb al-Islamī.

Ibn al-Khalwīh, Abū ʿAbdillah al-Ḥusayn. 1980. *al-Ḥujjah fi al-Qirāʾāt al-Sabʿ*. Bayrūt: Dar al-Shuruq.

Ibn al-Muqriʾ, Abu Bakr Muḥammad ibn Ibrāhim al-Aṣbahānī. 1998. *al-Muʿjam li ibn al-Muqriʾ*. al-Riyād: Maktabat al-Rushd li al-Nashr wa al-Tawzīʿ.

Ibn Athīr, ʿIzzuddīn. 1994. *ʾUsud al-Ghābah fi Maʿrifat al-Ṣaḥābah*. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Ibn Ḥajar al-ʿsqalānī, Abū al-Faḍl Aḥmad. 2002. *Lisān al-Mīzān*. Bayrūt: Dār al-Bashāʾir al-Islāmiyyah.

Ibn Ḥujjah al-Ḥamawī. 1985. *Sharḥ Qaṣīdat Kaʿb ibn Zuhayr*. al-Riāḍ: Maktabat al-Maʿārif.

Ibn Mājah, Abū ʿAbdillah Muḥammad ibn Yazīd al-Qazwīnī. WD. *Sunan Ibn Mājah*. Bayrūt: Dār al-Fikr.

Ibrāhīm al-Janājī. *al-Kanz al-Jalil ʿala Madārik al-Tanzīl wa Haqāʾiq al-Taʾwīl li Abul Barakāt al-Nasafī.*

al-Khatīb al-Baghdādī, Abū Bakr ʾAḥmad ibn ʿAlī. 1997. *Tārīkh Bagdād*. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

al-Khatīb al-Shirbīnī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad. 1991. *Tafsīr Sirāj al-Munīr*. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Mannāʿ al-Qaṭṭān. 2000. *Mabāhith fī ʿUlūm al-Qurān*. al-Riāḍ: Maktabat al-Maʿārif.

al-Mizī, Yūsuf ibn ʿAbd al-Raḥmān. 1980. *Tahdhīb al-Kamāl fī ’asmā’ al-Rijāl*. Bayrūt: Mu’assasat al-Risālah.

Muslim, Abū al-Husayn Ibn al-Ḥjjaj al-Nīsābūrī. WD. *Ṣaḥiḥ Muslim*. Bayrūt: Dār al-Jayl.

Muṣṭafā Muslim. 2010. *al-Tafsīr al-Mawḍūʿī li Suar al-Qurān al-Kārīm*. al-’imārāt al-ʿArabiyyah: Jāmiʿat al-Shāriqah.

Najm al-Dīn al-Gazī, Muḥammad ibn Muḥammad. 1997. *al-Kawākib al-Sā’irah bi ’aʿyāni al-Mi’at al-ʿAsharah*. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿilmiyyah.

al-Nasafī, Abū al-Barakāt ʿAbdullah. 1998. *Madārik al-Tanzīl wa Ḥaqā’iq al-Ta’wīl*. Bayrūt: Dār al-Qalam al-Ṭayyib.

al-Qāḍī, ʿAbd al-Fattāḥ. WD. *al-Budūr al-Zahirat fi al-Qirā’āt al-ʿashri al-Mutawātirah*. Bayrūt: Dār al-Kitāb al-ʿarabiyy.

Shamsuddīn al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad. 1997. *Maʿrifah al-Qurrā’ al-Kibār ʿalā al-Ṭabaqāt wa al-’aʿṣār*. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿilmiyyah.

Tirmidhī. Muḥammad ibn ʿĪsā. 1975. al-Jāmiʿ al-Tirmidhī. Miṣr: Maktabat Muṣṭafā al-Ḥalabī.

al-Wāḥidī, Abū al-Ḥasan al-Nīsābūrī. 1968. *Asbāb al-Nizūl*. al-Qẻhirah: Dār al-Bāz li al-nashr wa al-tawzīʿ.

al-Zamakhsharī, Abū al-Qāsim Maḥmūd. 1986. *al-Kashshāf ʿan Ḥaqāiq Ghawāmiḍ al-Tanzīl.* Bayrūt: Dār al-Kitāb al-ʿarabiyy.

al-Zarkalī, Khayr al-Dīn ibn Maḥmūd ibn Fāris. 2002. *al-’aʿlām*. Bayrūt: Dār al-ʿilm li al-Malāyīn.

al-Zubayrī, Walīd ibn Aḥmad al-Ḥusayn. 2003. al-Mawsūʿat al-Muyassarat fī Tarājum ’A’immah. Brīṭāniyā: Majallat al-Ḥikmah.